حَول مُعجَم مُوحّد لألفَاظ الحضَارة في الوَطن العَربي

د. عبدالكريم خليفة

رئيس المجمع

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد:

فقد دأب مجمعنا بالقاهرة على اختيار قضية أساسية من قضايا العربية في العصر الحديث، يجعلها في كل عام الموضوع الرئيسي للبحوث في مؤتمره السنوي. وبذلك استن سنة حميدة إذ يطرح للبحث والدراسة أمام المجمعيين وعلماء العربية، جوانب مهمة من قضايا العربية في العصر الحديث. وهي قضايا تمس جوهر وجود أمتنا ووحدتها وارتقاءها في سلم العلم والحضارة، والانتقال من حالة التبعية الفكرية إلى حالة المشاركة الأصلية المبدعة في العلوم والتقنيات الحديثة. وقد جاء موضوع البحث في "ألفاظ الحضارة في الوطن العربي" ليكمل الصورة الكلية لخدمة العربية والعناية بها في جوانبها المتعددة من حيث التعريب وجعل العربية لغة التدريس[١] والبحث في الجامعات والمؤسسات العلمية، وكذلك من حيث الارتقاء بلغة وسائل الاتصالات الجماهيرية في الصحف والمجلات ودور الإذاعة المسموعة والمرئية، وكذلك الموضوعات التي تثار حول الصراع بين العاميات باتجاهاتها الإقليمية الضيقة وقدرتها الفكرية القاصرة، وبين اللغة الفصيحة، بقدراتها الفكرية المبدعة وباتجاهاتها الموحدة.

وإن النظرة الشاملة للقضايا التي تواجهها العربية في العصر الحديث في مختلف أقطار العروبة لتؤكد وجود قضية أساسية تتمثل في ألفاظ الحضارة. وهذه

---

(١) ألقي هذا البحث في المؤتمر السنوي الخامس والخمسين لمجمع اللغة العربية بالقاهرة وذلك يوم ١٩٨٩/٣/٢.

القضية المهمة، وإن بدت منفصلة إلى حدّ ما عن اللغة الأدبية واللغة العلمية، فإنها متصلة بهما أشد الاتصال، لأنها لغة الحياة العملية والتعامل اليومي.

ومن البدهي أن ننبه إلى أن الحديث عن ألفاظ الحضارة سواء أكانت الدارجة منها أم المقترحة، لا يعني بالضرورة الحديث عن اللغة العامية أو اللهجات العامية، فالحديث عن العامية حديث عن هذه اللهجة من حيث تحولها وصرفها وأساليب التعبير بها، في حين أن الحديث عن ألفاظ الحضارة الدارجة أو المقترحة، هو حديث عن مفردات من حيث جرسها وإيحاءاتها ودلالاتها وأصولها .. وقد تجد هذه المفردات طريقها إلى اللغة الأدبية، كما تجد طريقها إلى اللغة العلمية. وتجد طريقها إلى اللغة الفصيحة. كما تجد طريقها إلى اللغة العامية. وبما أن الألفاظ الحضارية متصلة أشد الاتصال بالحياة اليومية للناس في ظروفهم الحياتية ومعاملاتهم المعاشية، فإنها تخالط العامية وتمازجها تمازجاً كلياً بحيث يصعب التفريق بينهما. وربما كانت مبادرة الجمهور بإحساسه اللغوي وعفويته في إطلاق هذه اللفظة أو تلك على ذلك المدلول، تصلح أساساً لتفسير هذه الظاهرة في إغناء اللغة المحكية من حيث الألفاظ الحضارية.

ونحن عندما نتحدث عن "ألفاظ الحضارة"، فإنما نعني بها جميع الألفاظ التي يستعملها الإنسان العربي في حياته المعاشية من مأكل ومشرب وثياب وما يتعلق بها، ومن منزل وأدوات منزلية وأسماء الأماكن وما يتعلق بها، ومن المكاتب وأدواتها، والمركبات وما يتعلق بها، وكذلك ما يتعلق بالحرف وأنواع المهن والصناعات وأدواتها والمواد المستخدمة فيها، فضلاً عن التربية الرياضية وغيرها من الألفاظ والمصطلحات التي تدخل لغة وسائل الاتصال الجماهيرية اليومية .. ولا شك أن هذه الألفاظ الحضارية، من حيث اتصالها بالحياة والاستعمال اليومي، قد تتسع في دوائرها حتى تتصل بمصطلحات الفنون الجميلة على مختلف أنواعها ومذاهبها.

وربما كان من المفيد أن نحدد أن ألفاظ الحضارة التي تعنينا في هذا البحث، هي الألفاظ التي تعبر عن ظروف الحياة ومستلزماتها المعاشية لجماهير أمتنا العربية في أقاليمها المختلفة. ومن هنا تنشأ الخصوصية التي تميز معجم ألفاظ الحضارة بالعربية عن غيره من المعاجم المتخصصة.

لقد أدّى تعثر الحياة العلمية وجمودها في أقطار العروبة منذ القرن السادس عشر الميلادي، ولا سيما في حقول العلوم الحديثة من تطبيقية وبحتة، إلى توقف العربية عن استيعاب المصطلحات العلمية. وعندما بدأت النهضة العلمية الحديثة، ولا سيما منذ أوائل القرن العشرين، واجهت مؤسساتنا اللغوية والعلمية فراغاً يكاد يكون تاماً فيما يتعلق بمصطلحات العلوم والفنون الحديثة باللغة العربية. وما أن بدأت بذور هذه النهضة العلمية في الوطن العربي حتى نشب الصراع بين أنصار العامية من جهة وأنصار العربية الفصيحة من جهة أخرى. وكان يساير هذا التيار، ويجسد أهدافه العدائية صراع آخر، ما زال محتدماً، مع الأسف حتى يومنا هذا، بين أنصار جعل العربية لغة التدريس الجامعي والبحث العلمي في جميع حقول المعرفة الإنسانية، وبين القلة المتنفذة التي ما زالت تتشبث في إبعاد العربية عن أن تكون لغة الفكر العلمي العربي في مؤسساته العلمية وجامعاته الوطنية.

فإذا تجاوزنا هذه المرحلة من تاريخنا العلمي واللغوي، إلى مرحلة سيادة العربية في أوطانها ومؤسساتها العلمية والجامعية، وهي بالغتها قريباً إن شاء الله – وجدنا أنفسنا أمام قضية جوهرية واحدة، وهي توحيد المصطلحات العلمية والحرص على أن تكون هناك لغة علمية واحدة بالعربية.

فإذا كان هذا هو الحال، فيما يتعلق بالمعجمات العلمية العربية المتخصصة، فإن الحال مختلف فيما يتعلق بمعجم "ألفاظ الحضارة". فألفاظ الحضارة مستمرة في حياة أمتنا في أقاليمها المختلفة عبر القرون باستمرار الحياة ذاتها والحاجة إلى التعبير عن لوازمها. فنحن أمام سيل متصل من ألفاظ الحضارة في مجتمعنا العربي في

أقاليمه ومناطقه المختلفة، وفي مدنه وأريافه وبواديه .. ولا شك أن ألفاظ الحضارة هذه هي نتاج ظروف الأمة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية. فنحن في هذا المجال لا نواجه قضية الفراغ الذي واجهناه ونواجهه عند وضع المصطلحات العلمية، وإنما نواجه قضية من نوع آخر. ولعل دراسة هذه القضية تؤدي بنا إلى تحديد معالمها، من حيث أصول بعض هذه الألفاظ الحضارية ومنابعها الأولى سواء أكانت عربية صليبية أم معربة، وكذلك من حيث الشيوع وملاءمة رونق العربية وأساليبها، ومن حيث الذوق والخفة على السمع واللسان .. هذا من جهة، ومن جهة أخرى، فإن معجم ألفاظ الحضارة باللغة العربية يواجه أيضاً فراغاً في بعض جوانب الحياة الحضارية الحديثة. ومن هنا فهو معجم دائم النمو، ومن الواجب أن يتابع المتطلبات الحياتية للأفراد والجماعات.

وقد أشار مجمعنا الكبير بالقاهرة إلى عظم هذه المشكلة وأهميتها، وطرحها للبحث منذ وقت مبكر في أواسط هذا القرن. فقال الأستاذ الرئيس الدكتور إبراهيم مدكور في تصديره لمحاضر الدورة الثانية عشرة لعام ١٩٤٥-١٩٤٦، وكان إذ ذاك أميناً عاماً للمجمع: "ألفاظ الحضارة ضرب آخر من المصطلحات اللغوية، وقد تكون معالجتها أعسر من معالجة المصطلح العلمي، والإجماع عليها ليس بالأمر الهين، ولا بد أن نستعين عليها بشتى الوسائل".

أما أن معالجتها أعسر من معالجة المصطلح العلمي، وأن الإجماع عليها ليس بالأمر الهين، فهذا مما لا شك فيه، ولكننا نتساءل كيف أن أمة قد وحدت لغتها الأدبية وتحاول توحيد لغتها العلمية بتوحيد مصطلحاتها، ما زالت تغض النظر عن معالجة موضوع ألفاظ الحضارة وضعاً وتوحيداً على الرغم من الوسائل العلمية والتقنية التي تيسرها وسائل العلم والتقنيات الحديثة .. أليس من الواجب أن يكون هناك معجم شامل باللغة العربية يستوعب جميع ألفاظ الحضارة ويصلح أن يكون أساساً للغة حضارية واحدة بين جماهير الأمة العربية في مختلف أقطارها؟

ولكي نستوعب عظم هذه المشكلة ومدى أهميتها، جمعت عدداً من الألفاظ الحضارية في مدينة ما من المدن الأردنية، دون استقصاء أو محاولة إقامة دراسة جادة. فقد اكتفيت بنماذج عشوائية تشمل أسماء الأدوات المنزلية وأثاث المنازل والمكاتب والملابس وأدوات بعض المهن وأسماء المأكولات وغير ذلك من التعابير الحضارية.

حقاً، لقد هالني الأمر. فهناك الاختلاف بين الألفاظ الحضارية بين مدينة وأخرى وبين منطقة وأخرى. وهذا الاختلاف قد يضيق ويتسع وفق ظروف معينة أو حسب تباعد المسافات. وهناك الاختلاف الملحوظ بين كثير من الألفاظ الحضارية بين جيل وآخر. أما الألفاظ الحضارية الوافدة من البلاد الأجنبية، ولا سيما من الغرب، فقد وجدت طريقها بصورة عمياء إلى الجماهير المستهلكة وإلى وسائل الاتصالات الجماهيرية من صحف ونشرات وإعلام رسمي وشعبي .. وتعدى ذلك إلى طغيان حضاري، يتمثل بإشاعة الأسماء الأجنبية وإطلاقها على المحلات العامة من تجارية وصناعية .. ويبلغ هذا الطغيان مداه عندما نرى هذه الأسماء الأجنبية تكتب أيضاً بحروف عربية. فقد رأيت في إحدى القرى الأردنية النائية، متجراً متواضعاً جداً كان أشبه بمدخل ضيق.. وكانت محتوياته من البضاعة المعروضة للبيع ليست بأحسن حال من مبناه، ويخيل إلي أن صاحبه يستطيع القراءة والكتابة بصعوبة .. ومع ذلك فإن المحل يحمل اسم "سوبر ماركت"!!! أما في شوارع العاصمة والمدن المهمة .. فحدث عن ذلك ولا حرج!

ونحن إذا تجاوزنا حدود نظرنا إلى الأقطار العربية المجاورة والبعيدة، فإن الأمر يصبح مذهلاً وخطيراً. فالاختلاف في ألفاظ الحضارة، يجعلنا، مع الأسف، نقف أمام حاجز خطير يمنع تفاهم جماهير أمتنا بعمالها وفلاحيها، بعضهم مع بعض .. وإذا كان المثقفون يجدون في اللغة الفصيحة المكتوبة أو في اللغة المحكية القريبة منها، وسيلة للتفاهم، فإنهم يصطدمون بعسر التفاهم، إذا تناولوا ألفاظ الحضارة

بالاستعمال .. والأمثلة على ذلك كثيرة، سواء ما كان منها تراثياً شائع الاستعمال في أقطارنا العربية منذ أزمان قديمة، أم كان منها دخيلاً حديثاً حملته الحضارة المعاصرة إلى شعوبنا صانعة أو مستهلكة.

فهنالك مثلاً القمح والحنطة والبُرّ والغلَّةُ وجميعها ألفاظ تراثية، وغالباً ما تستعمل مترادفاتٍ في كل قطر.

ولنأخذ مثلاً كلمة "البطيخ" وكم تتعدد الاختلافات في مدلولاتها في مختلف الأقطار.. وقد يضطر الباحث مع الأسف إلى أن يضع مقابلها اللغة الأجنبية كي يحدد مدلولها. فهنالك "بطيخ أصفر في الشام، وشمام في الأردن وفلسطين، وشمام وبطيخ وقاوون في مصر هذا مع العلم أن كلمة "قاوون" تركية. وهكذا تتعدد الألفاظ لمسمى واحد. فهو: بطيخ أخضر وبطيخ أحمر وبطيخ شامي وبطيخ هندي، ودلاع وخِرْبز وحَبْحبْ، وجَبَس ورَقِّي. حيث تسود كل لفظة في قطر من الأقطار أو في منطقة دون أخرى.

وقل مثل ذلك في كثير من أسماء الفواكه والأطعمة والمأكولات والأدوات المنزلية وغيرها من ألفاظ الحضارة. فالوعاء مثلاً الذي ينفض فيه رماد السجائر وتلقى فيه أعقابها يسمّى: متَكَّة ومكَتَّه ومِنْفضة وطَقْطوقه وسَنْدِريِّه.. إلخ.

وفي أدوات الكتابة ذاتها ومستلزمات المكتب، اختلاف كبير من الألفاظ الدّالة عليها.. أما الأدوات الحديثة التي دخلت في الحرف والمهن والصناعات، فقد دخل معظمها بألفاظها الأعجمية، بعد أن أصابها التحريف العفوي، أو المبادرة المحلية بعيداً عن كل قاعدة أو قانون ينتظمها.

ومنذ مطلع هذا القرن، جرت محاولات ودراسات، كانت غايتها إغناء اللغة العربية بما يجدُّ من ألفاظ الحضارة الحديثة. وكثيراً ما كان الأمر يغيم فتتداخل مصطلحات العلوم الحديثة بألفاظ الحضارة الحديثة، دون أن يفرد أيضاً موضع خاص

بمصطلحات الفنون الحديثة مثل: التصوير والنحت والمرسومات والخزف والسينما والموسيقى.. إلخ.

وكان لمجمعنا بدمشق ومجمعنا بالقاهرة فضل الريادة في إثارة هذا الموضوع الخطير. وقام مجمعنا بالقاهرة، منذ أوائل الأربعينات بالبحث في الوسائل التي يمكن استخدامها من أجل تزويد اللغة العربية بمصطلحات الجديد في ميادين الحضارة الحديثة.. وإن المناقشات والآراء المختلفة التي طرحت في ذلك الوقت، وحفظتها محاضر جلسات المجمع، تكوِّن مصدراً مهماً من أجل وضع الأسس العلمية التي يمكن أن تصلح منطلقاً منهجياً لمجامعنا اللغوية من خلال اتحاد المجامع، لوضع معجم موحد للألفاظ الحضارة في الوطن العربي.

وما زالت مقولة المرحوم العالم المجمعي الأستاذ محمود تيمور، تكوِّن أساساً صالحاً تقوم عليه فلسفة هذا المعجم الحضاري، وتعطيه هويته العربية الجامعة، حيث يقول، رحمه الله، "إن السعي إلى وضع مقابل صحيح لألفاظ الحضارة أو الحياة العامة ليس مقصوداً به فرض ذلك على أفواه العامة في البيوت والأسواق، ولكن المقصود به إسعاف الأقلام الكاتبة بما يسد حاجة التعبير من ألفاظ فصاحٍ لمسميات حضارية شاملة، وإشاعتها في الصحف السيارة والكتب المتداولة، وإذاعتها في مجالات الإذاعة الفصيحة على اختلاف منابرها ومنصاتها في حياتنا العلمية والاجتماعية في أرحب نطاق"[1].

ونحن الآن لا يدور في خلدنا أننا نهدف إلى التغيير القسري لما يستعمله عامة الناس في كل قطر من الأقطار العربية، ولكن من الواجب، كما أشرنا سابقاً، أن يكون هناك معجم شامل باللغة العربية يستوعب جميع ألفاظ الحضارة ومستلزمات الحياة الحديثة، يمكن أن يكون مرجعاً لكُتّاب العربية وأدبائها في العصر الحديث في

(١) معجم ألفاظ الحضارة ومصطلحات الفنون، تصدير الأستاذ بدر الدين أبو غازي، ص ز، القاهرة، ١٤٠٠هـ- ١٩٨٠م.

مختلف الفنون الأدبية من قصة ورواية ومسرحية .. وغيرها، وفي جميع وسائل الاتصال الموجهة إلى جماهير الأمة العربية.. ولا شك أن هذا الوضع سيؤدي إلى إشاعة هذه الألفاظ، وإحيائها بالاستعمال.. وبالتالي ستحل الألفاظ الحضارية الموحَّدة، محل تلك الألفاظ المحلية، بصورة طبيعية ودون عنت أو قسر، وإن لغة الثقافة كفيلة بنشرها.. وهناك أمثلة كثيرة يمكن الاستشهاد بها من حياتنا العملية. فنحن نعلم مثلاً أن هنالك كثيراً من الألفاظ المغرقة بعاميتها، محلياً أو قطرياً، قد اختفت من الاستعمال العام، وحلت محلها ألفاظ فصيحة أو أقرب إلى الفصيحة، مما يخفّ وقعه على الأسماع ويسهل دورانه على الألسنة.. فلو أخذنا مثلاً لفظة "سيارة"، هذه اللفظة التراثية الجميلة، فإنها قد باتت تسير على جميع الألسنة، دالة على هذه الآلة الحضارية الحديثة، في حين أننا لو رجعنا إلى نصف قرن أو يزيد، لوجدنا ألفاظاً كثيرة مختلفة للتعبير عنها في كل قطر من الأقطار العربية فهنالك "الأتوبيس" و"الأوطمبيل" و"الطنمبيل" و"الكاره" و"الحنتور".. الخ، من الألفاظ الأعجمية والعامية الجلفة .. وقد حلّ محلها جميعاً في الاستعمال الثقافي وبين عامة الناس أيضاً لفظة "السيارة". وقد نقلت من معنى تراثي معروف في اللغة الفصيحة إلى معنى اصطلاحي يدل على هذه الآلة المحدّدة.. ولا أظن أن الذهن يتجه إلى أي معنى آخر لهذه اللفظة في الوقت الحاضر بن عامة الناس والمثقفين.

وقد قام مجمعنا القاهري، بتأصيل هذا الاتجاه، بنشره ما وضعته لجنة ألفاظ الحضارة وخبراؤها، وأطلق عليه تفاؤلاً اسم "معجم ألفاظ الحضارة ومصطلحات الفنون".

وجاء تصدير الزميل الأستاذ بدر الدين أبو غازي – رحمه الله– على إيجازه شاملاً وعميقاً في عرضه لموضوع "الألفاظ الحضارية".

وهناك محاولات أخرى في هذا المجال، كان لمجمعنا بدمشق مشاركة مهمة فيها .. ومنذ حوالي عقدين من الزمان نشر الأستاذ عبدالعزيز بنعبدالله في مجلة

اللسان العربي، التي تصدر عن مكتب تنسيق التعريب في الرباط، سلسلة من معاجم المهن مثل "الخبازة والنجارة، الحدادة.. الخ.

وقد قامت مؤسسة "دار لسان العرب، ببيروت " بنشر مجلد خاص ألحقته بمجلدات معجم لسان العرب، تحت عنوان "معجم المصطلحات العلمية والفنية" (عربي– فرنسي– إنجليزي– لاتيني)، قام بإعداده وتصنيفه الأستاذ يوسف خياط. وقد سار على نهج ابن منظور في محاولته جمع المصطلحات العلمية والفنية الواردة في عدد من المصادر المجمعية والجامعية وعند بعض المؤلفين، ثم تصنيف هذه المصطلحات. وقد تداخلت فيه بعض الألفاظ الحضارية مع المصطلحات العلمية، وليس من شأننا في هذه الكلمة أن نعرض لموضوع المصطلحات العلمية، التي كان فيها لمجامعنا اللغوية ومؤتمرات التعريب جهود مشكورة خيرة.

أيها السادة العلماء، فهذه كلمة عامة وعرض سريع، لقضية مهمة من قضايا العربية التي تواجهها في أواخر القرن العشرين. وإن مجامعنا اللغوية ومؤسساتنا العلمية، لمدعوة، بحكم واجبها أن تتصدى لجميع هذه المشكلات والقضايا التي ما زالت تقف عائقاً بين لغتنا العريقة في تاريخها العلمي والحضاري والفكري، وبين استيعابها جميع معارف الحضارة الإنسانية الحديثة. وإن موضوع "معجم موحِّد لألفاظ الحضارة" ليندرج في هذا السياق، من أجل وحدة الأمة، وفسح المجال الرحب أمامها من أجل بناء نهضتها العلمية والأدبية والفكرية، والمشاركة الأصيلة في بناء الحضارة الحديثة.

ونحن نعتقد أنه قد آن الأوان، كي تقوم مجامعنا اللغوية العربية، ومن خلال اتحاد المجامع، بالعمل على إنشاء مؤسسة خاصة بالمعاجم العربية، حيث تستغل إمكانات الأمة العلمية والمادية من أجل وضع المعاجم المتخصصة في مختلف العلوم والفنون. والمعجم الحضاري والمعجم التاريخي للغة العربية يمثلان الأمل الكبير الذي طالما تطلعت إليه أمتنا في مختلف مؤسساتها العلمية. أما ما يخص المعجم الموحد

لألفاظ الحضارة في الوطن العربي "فنحن نعتقد أنه من الضروري أن توضع خطة علمية شاملة على مستوى الوطن العربي. فنجمع جمع استقصاء كل ألفاظ الحضارة التي تستخدم في جميع الأقطار العربية، سواء منها ما كان من ألفاظ المؤسسات العلمية، أو ما كان من ألفاظ السوق، أو الأسماء التي يطلقها أصحاب الصنعة على آلاتهم وأدواتهم .. الخ، وأن تضبط هذه الألفاظ ضبطاً كاملاً وتشرح شرحاً واضحاً، وقد يستعان بالرسم عند الحاجة.

ولا بد من استخدام الحاسوب والتقنيات الحديثة في مثل هذه الأعمال اللغوية الجليلة، فتُخزن جميع هذه الألفاظ، مع الضبط والشرح والجهة التي تشيع فيها. وأن يكون هذا كله أحد المصادر التي يستعان بها إلى جانب المعاجم القديمة والحديثة، العربية منها والأجنبية، ومن الأهمية بمكان أن نذكر أن الاجتهاد في الوضع والنقل والاشتقاق والنحت وغير ذلك من أساليب العربية، يجب أن تكون الفلسفة التي تنزع عنها هذه المؤسسة في إصدار المعجم الموحَّد لألفاظ الحضارة في الوطن العربي.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته،،